حَاشِيَةُ الشِّهَابِ

المُسَمَّاة

عِنَايَةُ القَاضِي وَكِفَايَةُ الرَّاضِي

عَلَىٰ

تفسير البيضاوي

الجزء السابع

دار صادر
بيروت

بينهما لكن كل منهما يستعمل بمعنى الآخر فالمراد بعبادة ما تعلق به الارادة وقوله قدرا مقدورا وقضاء
مقضيا كظل ظليل وليل أليل في قصد التأكيد واليه أشار بقوله حكما مبتوتا أي مقطوعا به والامر مصدر
والمراد أن اتباعه والعمل بموجبه لازم مقضي في نفسه أو هو كالمقضي في لزوم اتباعه أو اسم والمعنى كان
مراده مقدرا أو عن قدر وقوله وقرئ رسالة الله الافراد لجعلها لاتفاقها في الاصول وكونها من الله بمنزلة
شيء واحد وان اختلفت أحكامها (قوله تعريض بعد تصريح) بأن الله أحق أن تخشاه والتعريض
لانه وصف به الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهو أولى بالاقتداء بسيرتهم والاتصاف بصفتهم وقوله كافيا
لان الحسب يكون بمعنى الكفاية ومنه حسبي الله أو هو بمعنى المحاسب على الذنوب وقوله فينبغي الخ
على التفسيرين (قوله ولا ينتقض عمومه) اي عموم حكم هذه الآية من أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن أبا
لأحد من رجالهم بما ذكر من أولاده المذكورين فانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال بل ماتوا صغارا ولو فرض بلوغهم
أو قيل الرجل مطلق الذكر خرج هؤلاء عن حكم النفي بقيد الاضافة وأولاده صلى الله عليه وسلم
مذكورون في السير تفصيلا ولا يرد على المصنف رحمه الله أن القاسم والطاهر أيضا ولدا بمكة كما صرح
في السير وهذه السورة مدنية لان المراد أنه لم يكن في الماضي وقيل هذا لم يطلقا تأمل وقوله فيثبت
منصوب في جواب النفي فان قلت كيف يختص الرجل بالبالغ مع أنه في القرآن حيث ورد عام كقوله وان
كان رجل يورث كلالة وغيره وقول الفقهاء لو حلف لا يكلم رجلا وكلم صبيا حنث قلت اختصاصه به في
عرف اللغة مما لا شبهة فيه وما ورد في النظم وارد على أصل اللغة أو هو على الاصل وثبوت حكم البالغ فيه
بدلالة النص وكذا ما ذكره الفقهاء على الاصل مع أن الايمان عندهم مبناها العرف لا اللغة فلا يرد على هذا
شيء كما توهم وقد أورد على الشق الثاني أنه لا ينتظم مع التأكيد بقوله خاتم النبيين وسيأتي دفعه وما فيه
وما ذكر أيضا جواب عن الحسن والحسين رضي الله عنهما (قوله وكل رسول أبو أمته) ظاهره أنه يصح
اطلاق الاب عليه صلى الله عليه وسلم كاطلاق الام على زوجاته ونقل الطيبي فيه خلافا عن الشافعية وفي
الروضة لا يجوز أن يقال هو أبو المؤمنين لظاهر هذه الآية وقوله وزيد منهم اي من أمته وقوله خبر مبتدا
تقديره هو وقوله من عرفتم الخ في نسخة أب من غير واو والنصب مع التخفيف بتقدير كان أو العطف بالواو
وقيل يتعين الاول (قوله وآخرهم) هو على قراءة الكسر لانه اسم فاعل بمعنى الذي ختم وقوله أو ختموا به
على قراءة الفتح لانه اسم آلة لما يفعل به كالطابع لما يطبع به والقالب وان كان ما له معناه للآخر أيضا
فقوله على قراءة عاصم قيد للثاني (قوله ولو كان له ابن بالغ الخ) كذا في الكشاف ورده في الكشف
ومنعه بعضهم فقال الملازمة ممنوعة اذ كثير من أولاد الانبياء عليهم الصلاة والسلام لم يكونوا أنبياء
فالله أعلم حيث يجعل رسالاته والحديث على تقدير صحته لا يدل على كليته التي هي المدعى (أقول) اما صحة
الحديث فلا شبهة فيها لانه رواه ابن ماجه وغيره كما ذكره ابن حجر وأما الكلية فليس مبناها على اللزوم العقلي
والقياس المنطقي بل على مقتضى الحكمة الالهية وهي أن الله أكرم بعض الرسل بجعل أولادهم أنبياء
كالخليل ونبينا صلى الله عليه وسلم أكرمهم وأفضلهم فلو عاش أولاده اقتضى تشريف الله له ذلك
وأما كونه يجوز أن يكون أبا رجل ولا يكون نبيا لعدم وصوله لسن النبوة يعني الاربعين فليس بشيء لان
تعين ذلك السن للنبوة غير متعين ولا يتوقف عليه كما يتبادر الى الذهن من غير نظر لما جرت به العادة
في الواقع ثم أجاب عن الملازمة في الكشف بأنها مستفادة من الآية لانه لولاها لم يكن للاستدراك معنى
اذ لكن تتوسط بين متقابلين فلا بد من منافاة يتوهم له لكونه خاتم الرسل وهو انما يكون باستلزام بنوتهم
لنبوتهم ولا يقدح فيه قوله رسول الله كما يتوهم لانه لو سلم رسالتهم لكانت اما في عصره وهي تنافي رسالته
أو بعده وهي تنافي خاتميته وقد تكلف بعض أهل العصر لتوجيه الاستدراك الغث والسمين وقد يقال
الاستدراك يكفي فيه أنه لما كان عدم النسل من الذكور يفهم منه أنه لا يبقى حكمه ويدوم ذكره استدرك
بما ذكر أو أنه لما نفيت أبوته مع اشتهار أن كل رسول أب لامته ربما يوهم نفي رسالته فاستدرك لذلك

وحكما مبتوتا (الذين يبلغون رسالات الله)
صفة للذين خلوا أو مدح لهم منصوب أو
مرفوع وقرئ رسالة الله (ويخشونه ولا
يخشون أحدا الا الله) تعريض بعد تصريح
(وكفى بالله حسيبا) كافيا للمخاوف أو محاسبا
فينبغي أن لا يخشى الا منه (ما كان محمد أبا أحد
من رجالكم) على الحقيقة فيثبت بينه
وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة
وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه أبا للطاهر
والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال
ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم (ولكن رسول
الله) وكل رسول أبو أمته لا مطلقا بل من حيث
انه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة
عليهم وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة وقرئ
رسول الله بالرفع على أنه خبر مبتدا محذوف
ولكن بالتشديد على حذف الخبر أي ولكن
رسول الله من عرفتم أنه لم يعش له ولد ذكر
(وخاتم النبيين) وآخرهم الذي ختمهم أو ختموا
به على قراءة عاصم بالفتح ولو كان له ابن بالغ
لاق بمنصبه أن يكون نبيا كما قال عليه الصلاة
والسلام في ابراهيم حين توفي لو عاش لكان
نبيا

{بحث في اطلاق الاب عليه صلى الله عليه وسلم}